برامج الوكالة في مجال التغذية تغذي النمو العالمي

نجاة مختار، رئيسة قسم الدراسات البيئية المتعلقة بالتغذية والصحة في الوكالة، وزميلتها كريستين سليتر، أخصائية التغذية في ذات القسم، تشرحان للكاتبة ساشا هنريكيز أسباب الأهمية البالغة للتغذية بالنسبة للوكالة.

سؤال: لماذا تُعنى الوكالة بالتغذية؟

الوكالة، كمنظمة، مطالَبة بموجب نظامها الأساسي أن تعمل على «تعجيل وتوسيع مساهمة الطاقة الذرية في السلام والصحة والازدهار في العالم أجمع».

والتغذية السليمة هي حجر الزاوية للصحة السليمة ولتطور الدول. وهذا هو ما يجعل الوكالة معنية بالتغذية.

فالتغذية مسألة شاملة. ويشكل تدنى مستوى التغذية أحد الأسباب المفضية إلى المرض والوفاة. ويؤثر ذلك على تطور المخ والقدرة على التعلم، ويؤدي بالتالي إلى انخفاض مستوى الأداء الدراسي. ويمكن لسوء التغذية في الصغر أن يفضي إلى أمراض مثل داء السكري وارتفاع ضغط الدم وأمراض القلب والأوعية الدموية في الكبر.

وإذا لم نعالج التغذية منذ بداية الحمل حتى السنة الثانية من العمر، وهي الفترة التي يتم فيها إرساء الأساس الذي تقوم عليه بقية حياة الشخص، سيتعذر في كثير من الأحيان إحداث أي فرق في المراحل اللاحقة.

سؤال: يبدو للوهلة الأولى أن المجال النووي والتغذية لا يجتمعان. فما هي الصلة بينهما؟

تستخدم الدول الأعضاء في الوكالة الأساليب النووية لدفع برامجها التغذوية قُدُماً. وتشمل هذه التقنيات النووية استخدام النظائر المستقرة (التي ليس لها نشاط إشعاعي) من أجل بلورة فهم أفضل لكيفية امتصاص العناصر الغذائية أو الاستفادة منها أو تخزينها في الجسم. ويمكن استخدام هذه التقنيات البالغة الدقة والقوة بأمان ودون تدخل اقتحامي مع الجميع، من الرضّع إلى كبار السن، وذلك لتحديد الحالة التغذوية، وقياس فعالية برامج التغذية.

وكثيراً ما توفر التقنيات النووية إجابات لا تتاح بأي وسيلة أخرى.

ويكمل عمل الوكالة، من خلال تدريب الدول الأعضاء على استخدام التقنيات النووية لأغراض التغذية، ما تقوم به هذه البلدان مع غيرها من المنظمات الدولية والجماعات غير الهادفة للربح في جميع أنحاء العالم من أجل مكافحة سوء التغذية بجميع أشكاله وتعزيز الصحة.

والتغذية السليمة في المراحل المبكرة من العمر أساسية من أجل نمو صحي. أم ورضيعها في مركز صحي في بوركينا فاسو.

(الصورة من: ن. مختار، الوكالة الدولية للطاقة الذرية)

سؤال: قد تبدو التغذية وكأنها قضية صغيرة معزولة. فلماذا تعتقدين أن التغذية تحتاج إلى اهتمام وطني ودولي؟

التغذية جديرة بالاهتمام العالمي لأنها تؤثر تأثيراً مباشراً ومثبَتاً على الصحة وعلى النمو الاقتصادي للدول. ويحتاج أي بلد كي ينمو إلى أن يتمتع شعبه بصحة جيدة وأن يكون قادراً على تعلم مهارات جديدة. وينبغي أن يتمتع السكان بجسم سليم وعقل سليم. فسوء التغذية يؤثر في الجسم والعقل على السواء.

وتوفر العلوم النووية بيانات قيِّمة تساعد على صياغة استراتيجيات أفضل لتدخلات التغذية.

استشرَت البدانة وما يرتبط بها من أمراض غير مُعدية في العديد من البلدان التي تمر اقتصاداتها بمرحلة انتقالية. وتساعد الوكالة السلطات الوطنية في سيشيل لبناء القدرة على تقييم برنامج تدخلات لمكافحة البدانة والوقاية منها في مرحلة الطفولة.

(الصورة من: ن. مختار، الوكالة الدولية للطاقة الذرية)

فقد ثبت، على سبيل المثال، أن الرضاعة الطبيعية الخالصة في الأشهر الستة الأولى من حياة الرضيع هي أفضل طريقة تبدأ بها الأم تغذية طفلها. ولكن العديد من الأمهات لا يعتقدن أن إعطاء أطفالهن الماء أو القليل من الشاي العشبي لمعالجة اضطرابات المعدة يعني أنهن لا «يُرضِعن رضاعة طبيعية حصراً».

ولا يستطيع أخصائيو الصحة، باستخدام أساليب الرصد التقليدية (مثل الاستبيانات)، الوقوف على مثل تلك التناقضات. غير أن استخدام تقنيات النظائر المستقرة يوفر بيانات لا يمكن تعويضها بشأن ممارسة الرضاعة الطبيعية الخالصة، حتى يمكن لصناع السياسات والأطباء وخبراء التغذية تغيير نهجهم تبعاً لذلك.

وتُستخدَم التقنيات النووية والنظيرية أيضاً، بالإضافة إلى قياس كمية ما يتناوله الرضّع من حليب بشري، في تقدير تكوين الجسم واستهلاك الطاقة؛ وتقييم صحة العظام لدى كبار السن؛ وتتبُّع الطريقة التي يمتص بها الجسم العناصر الغذائية المهمة مثل البروتين والكربوهيدرات والدهون والفيتامينات والمعادن وكيفية استخدامه لها واحتفاظه بها؛ وقياس احتياطيات فيتامين ألف ؛ وقياس مدى استفادة الجسم من الحديد والزنك من الأغذية والأنظمة الغذائية المحلية.

سؤال: هل يتجاوز سوء التغذية مجرد عدم وجود ما يكفي من الطعام؟

بدأ وباء زيادة الوزن والبدانة يتفشى في البلدان الأكثر ازدهاراً والبلدان التي تمر اقتصاداتها بمرحلة انتقالية. ويشكل ذلك تحدياً كبيراً أمام الصحة العامة، ويعاني الناس من جميع الأعمار والخلفيات هذا النوع من سوء التغذية.

ولذلك تتصاعد في جميع أنحاء العالم معدلات داء السكري وأمراض القلب والأوعية الدموية وغيرها من الأمراض غير المُعدية المرتبطة بالنظام الغذائي.

ويزداد عبء تكاليف الأمراض غير المُعدية في البلدان المنخفضة الدخل والبلدان المتوسطة الدخل، ويؤثر ذلك على الناس في مقتبل حياتهم ويفرض المزيد من الضغوط على نظم الصحة وميزانيات الحكومات والأسر المنهَكة بالفعل. وتتحمل البلدان المنخفضة و المتوسطة الدخل ٨٦٪ من عبء الوفيات المبكرة الناجمة عن الأمراض غير المُعدية، مما يؤدي إلى خسائر اقتصادية فادحة ووقوع الملايين من الأشخاص في براثن الفقر. ومعظم هذه الوفيات المبكرة الناجمة عن الأمراض غير المُعدية يمكن الوقاية منها إلى حد كبير، غير أن ذلك يتطلب نهجاً متعدد القطاعات إزاء السياسات التي تؤثر على عوامل الخطر، مثل النظام الغذائي غير الصحي ونقص النشاط البدني وعدم كفاية فرص الحصول على الرعاية الصحية.

وغالباً ما تبدأ زيادة الوزن والبدانة في مرحلة مبكرة من الطفولة. وتشير أرقام منظمة الصحة العالمية لعام ٢٠١١ إلى أنه يوجد في العالم نحو ٤٣ مليون طفل دون سن الخامسة يعانون زيادة الوزن. وهؤلاء الأطفال عرضة بشكل متزايد لخطر الإصابة بالأمراض غير المُعدية في مراحل متأخرة من حياتهم.

سؤال: ما هي التأثيرات العالمية والسياسية للتركيز أو عدم التركيز على التغذية ؟

نظراً لأن سوء التغذية يعوق قدرة الأفراد على أن يعيشوا حياة منتجة، فإن عدم التركيز على التغذية يديم الفقر في الأسر والمجتمعات المحلية والدول.

ووفقاً لحركة تعزيز التغذية، يعاني أكثر من ٣٠٪ من الأطفال الصغار في جميع أنحاء العالم سوء التغذية وما يصاحبه من عواقب وخيمة على الصحة، والقدرة على التعلم، والإنتاجية، و التنمية الاقتصادية والأمن. ويساعد الاستثمار في التغذية على كسر حلقة الفقر عن طريق زيادة الناتج المحلي الإجمالي للبلد بنسبة تتراوح بين ٢ و٣٪ على الأقل سنوياً. ويمكن لاستثمار دولار أمريكي واحد في التغذية أن يحقق عائداً يصل إلى ٣٠ دولاراً أمريكياً.